

يأس

العاطفة الجياشة، والإحساس المرهف، والتجربة الوجدانية، هي التي تملئ الشعر، وما الشعر إلا وليد الشعور، وإلا عد نظماً بارداً ليس فيه حرارة، ولا شيء من عاطفة، ولا صدق من شعور؛ وما أكثر الدرر التي تزخر بها بطون كتب الأدب، وما أسنى المعاني التي تحويها دواوين الشعر العربي، وما أجل القطع الحية التي تضمها أسفار القدماء، وما أثمن تلك الكنوز الخالدة، فيها الحكمة البالغة، والقول الصادق، والتعبير الفصيح، والمعنى البليغ وصف بـصور الموصوف مجسماً، وكلام حي يؤثر في نفس السامع، وقول تهتز له القلوب طرباً. والحسين بن الضحاك من الشعراء الذين وهبوا البيان الساحر، والفصاحة الرائعة، والجزالة الصادقة، وهو في هذه الأبيات يشكو أولئك الذين لا يقيمون على العهد، ولا يفون بالإخاء، أولئك المتقلبين الذين يخفون ما لا يظهرون، ويبطنون ما لا يبدوون.

هو يتكم جهدى وزدت على الجهد	ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة	فبعد اختبار كان في وصلكم زهدى
لعمري لقد أغضيت فيكم على التي	تجرعني المسكروه من غصص الحقد
نأيتكم بقيا الصديق لتقصـدوا	وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد
تعزوا بيأس عن هواى فاني	إذا أنصرفت نفسي فبهيات من ردى
أبى القلب إلا نبوة عن جميعكم	كنبوتكم عنى ففى السحق والبعد
أرى الغدر ضداً للوفاء وإننى	لأعلم أن الضدينبو عن الضد
إذا ختمت بالغيب عهدى فالكـم	تدلون إدلال المقيم على العهد
صلوا فافعلوا فعل المدل بوصله	وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذى الصد
فكم من نذير كان لى قبل فيكم	وها أنذا فيكم نذير لمن بعدى
فوا أسفا من صبوة ضاع شكرها	مضت سلفا فى غير أجر ولا حمد

الحسين بن الضحاك